هل تكون حرب لبنان الثالثة بداية النهاية لاسرائيل؟

عمر نجيب*

■ قال محلل عسكري في تعليقه على الحرب الدائرة بين لبنان واسرائيل «ان الانتصار ممكن لحزب الله، اسرائيل الآن تختلف عن الماضي، والمجتمع الاسرائيلي مفكك وتنتشر فيه الجريمة، وان التكاتف حول المشروع الصهيوني الذي كان سائداً في العقود الماضية انتهى»، مشيراً الى ان هذا من طبيعة كل الدول، فليس هناك دولة تستطيع المحافظة على قوتها على الدوام خاصة اذا كانت دولة استيطان عنصرية مثل اسرائيل.

ما لم يذكره المحلل هو ان من يسمونهم بشعب اسرائيل هم اناس قدموا او جلبوا باساليب مختلفة الى ارض فلسطين في ظل وعود عن حياة زاهرة وتطلعات الى الهيمنة على جيرانهم وثرواتهم الضخمة وموقعهم الاستراتيجي في قلب العالم. هذا الحلم بدأ يتبخر مع حرب تشرين (اكتوبر) 1973 وحتى اذا كانت الحكومة الاسرائيلية قد اعادت بعض الروح له باتفاقيات كامب ديفيد وغيرها، فقد تعرض لانتكاسات كبيرة خاصة مع حرب لبنان الطويلة التي انتهت بهزيمة اسرائيلية مدوية في ايار (مايو) 2000 عندما انسحب الجيش الاسرائيلي من جنوب لبنان تحت جنح الظلام امام ضغط المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله.

في السنوات التي اعقبت هزيمة الجيش الصهيوني في لبنان تطورت الاوضاع في الشرق الاوسط بما لا تشتهي اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة الامريكية، حيث استمرت الانتفاضة الفلسطينية وعمليات المقاومة التي جعلت الكيان الاسرائيلي يعيش حالة فزع دائم، وهو ما قلص حركة الهجرة اليهودية من الخارج وقوى الهجرة المضادة، الى جانب ذلك حقق حزب الله في لبنان حالة توازن رعب مع اسرائيل حتى جعلها تمتنع لمدة ست سنوات عن التعرض له بعدوان عسكري كبير.

فشلت جهود فك عزلة اسرائيل في محيطها العربي رغم الاتفاقيات الموقعة مع مصر والاردن ومحاولات التطبيع الخفية بين بعض الانظمة العربية وتل ابيب، ولم تتحقق آمال الكيان الصهيوني في فتح الاسواق العربية واسعة امام الاقتصاد الاسرائيلي مما اوقف مخططات توسعه، كما بقي اليهود في فلسطين يشعرون انهم يعيشون حسب تعبير مفكريهم في بيئة عربية معادية تهدد وجودهم ولا تنتظر الا تحقق توازن استراتيجي لتستعيد ارض فلسطين.

المخططون في واشنطن والقدس المحتلة عادوا في سنة 2000 الى تاكيد ضرورة تغيير تفكير الامة العربية اولا بحيث يكون هناك قبول جماهيري بالكيان الصهيوني اذا كان الهدف هو ضمان امن اسرائيل واستمرارها مستقبلا، واشاروا الى ان النجاح في ترويض الحكومات والانظمة العربية للتطبيع مع اسرائيل لن يكون الا حلا مؤقتا ولا ضمان لاستمراره.

الولايات المتحدة حاولت تغيير الجو السلبي المحيط باسرائيل والمهدد لها، فبدأت بشن الحرب على العراق ونجحت في احتلال بغداد وانهاء التهديد العراقي للكيان الصهيوني الى حين. واجبرت حكومة ليبيا على التخلي عن حقها في العديد من برامج التسلح، وارضخت العديد من الانظمة لارادتها ضمن مخطط تحويل اختيارات الشعب العربي الذي لا يتجزأ عن ما سمي مخطط الشرق الاوسط الكبير.

المعركة في المنطقة العربية كانت عملية كر وفر، مرة تميل فيها الكفة لصالح اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة الامريكية ثم لا تلبث ان تعود الى الاتجاه الذي يخدم القضية العربية. مخطط امريكا الذي بدأ بغزو العراق كان يتضمن اولا تركيع سورية وانهاء وجود حزب الله في لبنان وتطبيع علاقات دمشق وبيروت بالكيان الصهيوني وبالتالي احاطته بدول مهادنة لا تهدده. الخطة الامريكية تعثرت نتيجة المقاومة العراقية التي كذبت ادعاءات الرئيس بوش عندما اعلن نهاية الحرب على البوابة الشرقية للامة العربية.

رغم نجاح مؤامرة اغتيال رئيس وزراء لبنان السابق رفيق الحريري وما تبع ذلك من اشعال ازمات في لبنان ومع سورية لم ينجح مخطط اضعاف حزب الله. وتتالت الاحداث، حزب الله لم يسقط في فخ الصراع الداخلي اللبناني وعزز قوته العسكرية. وفي فلسطين اختار الشعب الفلسطيني حركة المقاومة الاسلامية حماس لقيادته ولم تنجح عملية اغتيال عرفات في نشر روح الاستسلام في صفوف الشعب بل جعلته اكثر اصرارا على استعادة كل حقوقه. في باقي ارجاء الامة العربية تعززت القوى السياسية التي تتبنى مبادئ حماس وحزب الله في التعامل مع اسرائيل. وبهذا انهارت على الاقل محليا محاولات واشنطن تدجين العرب.

ساسة اسرائيل وواشنطن اختاروا التصعيد مع الفلسطينيين واللبنانيين لانهم تصوروا ان هذا هو السبيل الوحيد لعكس الاحداث التي ستحدد مستقبل وجودهم في المنطقة.

قول بعض المحللين ومعهم عدد من الساسة، ان حزب الله لم يحسب عواقب هجومه يوم الاربعاء 12 تموز (يوليو) ضد قوات العدو الصهيوني في منطقة عيتا الشعب قرب الساحل المتوسطي حيث اسر جنديين وقتل ثمانية آخرين، تحوير مقصود للحقائق.

وهذا التشويه للحقائق تم كذلك على اساسه تفسير الخطاب الاول للامين العام لحزب الله بعد بدء الرد الاسرائيلي، حين قال اذن فهم يريدونها حربا مفتوحة ونحن ذاهبون اليها. وذكر هؤلاء ان نصر الله لم يكن يقصد حين امر بتنفيذ عملية اسر الجنديين الاسرائيليين ان يشعل حربا مفتوحة.

حتى اذا كان جزء من التفسيرات السابقة يحتوي على شيء من الصدق، فان ذلك ليس معناه القول ان حزب الله لم يكن مستعدا لحرب واسعة النطاق كاحتمال وارد. كذلك لا يعني القول بان الحرب الحالية نشبت بسبب ذلك الخطأ في الحسابات والاقدام على مغامرة غير محسوبة ما داموا مستعدين لأسوأ الاحتمالات، وما داموا قادرين على خوض هذه الحرب المفتوحة بقدر معقول من الكفاءة القتالية.

واشنطن وتل ابيب تبحثان منذ اشهر عن سبيل لضرب حزب الله وما قرار مجلس الامن رقم 1559 حول نزع سلاح الحزب الا جزء من المؤامرة. بعد ان تعثر تنفيذ مخطط نزع السلاح بواسطة الاطراف اللبنانية تبين ان تل ابيب وحلفاءها يبحثون عن اسلوب آخر ورجح المراقبون ان يكون ذلك بواسطة القوة العسكرية. وقد لا يكون من باب المجازفة القول ان حزب الله ادرك قبل عمليته في منطقة عيتا الشعب ان اسرائيل تعد لحملة عسكرية ضخمة ضد لبنان وانها بدات بالاعداد لها بواسطة الاستطلاعات الجوية الكثيفة والتجسس عن طريق العملاء، ولهذا قرر ان يدفع الصهاينة الى تنفيذ مخطط هجومهم في الوقت الذي يحدده هو ونفذ هجومه.

وتقدم الحرب الدائرة بين اسرائيل وقوات حزب الله اللبناني نموذجا للحروب التي تنشب نتيجة الخطأ في الحسابات وتأتي بنتائج سلبية لمشعليها كما يرجح المراقبون ان تكون النتيجة بالنسبة لتل ابيب.

ويقول محلل عسكري عربي: في المواجهة الحالية ننطلق من افتراض وجود مستوى من مستويات توازن الردع بين اسرائيل وحزب الله، ومرة اخرى فان الاقرار بوجود مستوى من مستويات توازن الردع بين اسرائيل وحزب الله، لا يعني انكار حقيقة التفوق الاسرائيلي الكاسح في ميزان القوة المطلق، ولكن في ظروف الادارة المنضبطة للصراع الحالي من جانب قيادة حزب الله، وحلفائه الاقليميين خاصة سورية وايران، يمكن ان يمتد مفعول الدرجة المتاحة من توازن الردع، بما يؤدي الي بقاء الصراع محصورا في نطاقه الحالي، وانماطه الجارية، بحيث يتيح في لحظة ما التحول الي البحث عن تسوية سياسية، او في اسوا الاحوال يستمر الصراع في شكل حرب استنزاف طويلة للجانبين، وهو ما سبق ان مارسه حزب الله والاسرائيليون ضد بعضهما بعضا طوال سنوات الاحتلال الاسرائيلي لجنوب لبنان.

ولكن هل صحيح ان هناك توازن ردع بين اسرائيل وحزب الله؟

يثير الشك في هذا الافتراض النص في الاهداف الاستراتيجية المصدق عليها من جانب الحكومة الاسرائيلية من الصراع الحالي على استئصال حزب الله، او قوته العسكرية نهائيا من المعادلة الاقليمية في الشرق الاوسط، الى جانب استعادة الجنديين الاسيرين، اذ لولا ان اسرائيل قادرة علي تنفيذ هذا الهدف لما كانت قد اعلنته علي لسان رئيس الوزراء ايهود اولمرت بنفسه، وهو يعلم انه بات يعاني من ازمة مصداقية امام الراي العام الاسرائيلي، والاهم من ذلك انه يعاني ومعه وزير دفاعه من ازمة ثقة في قدرته علي قيادة المؤسسة العسكرية.

لكن هذه الحجة مردود عليها بان اسرائيل كثيرا ما تخطىء هي الاخرى في الحسابات، وقد اخطات بالفعل في عام 1982 حين حددت هدفا لغزوها الشهير للبنان والذي بلغ حد احتلال بيروت، بانه سياتي بالحل النهائي لمشكلاتها الامنية في لبنان؟ وكان يقود اسرائيل وقتها مناحم بيغن الاكثر قوة وحنكة ومصداقية من اولمرت بعشرات المرات، وكان الذي يشغل منصب وزير الدفاع هو بنفسه الجنرال اريبل شارون، والذي حدث هو العكس تماما، فقد اخرج المسلحون الفلسطينيون من لبنان لتظهر بدلا منهم المقاومة الوطنية اولا، ثم حزب الله فيما بعد، مما اجبر الاسرائيليين على الانسحاب اولا الى خط الشوف، ثم الى الجنوب، ثم من الجنوب نفسه كاملا.

كذلك كان لاسرائيل في ذلك الوقت حلفاء محليون علي الساحة اللبنانية، وهو ما ليس متوافرا في الوضع الحالي، ولم تكن الاطراف المقاتلة في لبنان تملك ما يملكه حزب الله حاليا من الاسلحة، كما ونوعا، والاهم نوعا، ولم تكن الاوضاع السياسية والاستراتيجية لايران، بوصفها الحليف الاقليمي الاهم لحزب الله قد استقرت على ما استقرت عليه حاليا من قوة نسبية.

اسرائيل لم تعد القلعة الآمنة، فحزب الله بقصفه الثلث الشمالي من الكيان الصهيوني جعل المستوطنين في فلسطين المحتلة يدركون ان لا امن لهم في وسط العرب. بالامس كانت حرب اكتوبر وبعدها كانت نكسة اسرائيل في جنوب لبنان، وبعدها قصف العراق في سنة 1992 عدة مدن اسرائيلية بالصواريخ واليوم جاء دور حزب الله، ومن يدري غدا هل سيكون الدور لسورية او لمصر او غيرهما. الحرب ضد الكيان الصهيوني ستتواصل لان العرب لن يرضخوا ولن يقبلوا باستمرار اغتصاب فلسطين والاقصى، والمستوطنون الصهاينة لن يصبروا على حرب دائمة وعداء حولهم يزداد عمقا مع مرور الايام وسيعودون من حيث اتوا او يرحلوا الى امريكا وكندا كما حدث لملايين المستوطنين الاوروبيين في روديسيا وانغولا والجزائر وغيرها.

لم يبالغ من قال قبل عقود ان مصير اسرائيل الى زوال.

* كاتب من مصر مقيم بالمغرب

وهل من اقنعة لم تسقط بعد؟!

د. انيس فوزي قاسم*

■ في وسط هذا الهجوم البربري الكاسح الذي تقوم به القوات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين واللبنانيين، يخرج علينا بعض العرب، رسميين ومعلقين صحافيين، ليلقوا بمواعظهم من ان ما قامت به عناصر المقاومة الفلسطينية والمقاومة اللبنانية هو رعونه وانفراد بالتصرف، ولذا عليهم وحدهم تحمّل تبعة تصرفاتهم. واغفل هؤلاء ـ او تغافلوا ـ مقدار الدمار والقتل الذي يقع على نحو مبرمج نتيجة هذه الهجمة الصهيونية التي انفلتت من عقالها. وهكذا القى هؤلاء بآخر الاقنعة التي كانوا يتسترون وراءها مرة باسم الدين واخرى باسم العروبة وثالثة باسم الواقعية والعقلانية. ولم يبق لهؤلاء الاّ ان يقولوا للشيخ حسن نصر الله ولقادة المقاومة الفلسطينية بانه يجب عليكم الدعوة لمؤتمر قمة عربية وتطرحون فيه عزمكم على اسر عناصر من قوات الاحتلال الاسرائيلي قبل الاقدام على عملية الأسر، فان صدر قرار القمة بذلك، فعلى بركة الله، والاّ فما عليكم الاّ الانتظار حتى يقتنع الزعماء العرب بجدوى عملياتكم.

هل تعلمون يا سادة ماذا يعني الاعتقال في سجون ومعتقلات الاحتلال الاسرائيلي؟ هل تعلمون ان هناك اسيرات جاءهن المخاض في غياهب السجن وولدن اطفالاً ظلوا مسجونين مع امهاتهم حتى بلغوا العامين ثم فصل الطفل عن امه لان قوانين الاحتلال لا تسمح ببقاء الطفل مع امه بعد مدة العامين؟ هل نظرتم ودرستم آخر حالة تمّ فيها فصل الطفل عن امه السجينة، وخرج الطفل في حالة رعب كلما شاهد شخصاً او تحدث معه ابوه او عمه؟ هل اتاكم من يخبركم بان هناك اطفالاً ما زالوا في السجن وبلغوا سن الرشد ولا يعلمون لماذا هم معتقلون؟ هل تعلمون ان المئات من المعتقلين ما زالوا بعد مرور سنوات عديدة لم يقدموا لمحاكمة ولم توجه لهم تهمة حتى الان؟ وهل تعلمون ايها السادة ان التعذيب مسموح به ويمارس بانتظام وبمباركة محكمة العدل العليا الاسرائيلية التي تحولت الى دائرة من دوائر سلطات الاحتلال ـ كما وصفها البروفسور كيرتزر، استاذ القانون في الجامعة العبرية؟

ومع ذلك، قام الرئيس سليم الحص، رئيس مجلس امناء صندوق العون القانوني للاسرى الفلسطينيين والعرب، بتوجيه نداء الى الزعماء والقادة العرب لدعم صندوق الاسرى لاتباع الطرق القانونية في الدفاع عنهم، ومع ذلك لم يستجب احد من الزعماء والقادة لذلك النداء سوى الرئيس اميل لحود الذي تبرع براتب شهر. فماذا تريدون يا سادة: لا العنف يرضيكم ولا النداءات القانونية تصلكم!!

واذا التبس عليكم الامر بما يقوله صاحب الباب العالي من ان لاسرائيل حقاً في الدفاع عن نفسها، فهل غاب عنكم ان دولة الاحتلال ـ اي احتلال ـ لا يحق لها ان تدّعي بحق الدفاع عن النفس في الوقت الذي هي فيه سلطة احتلال؟ هذا ما قالته محكمة العدل الدولية في رايها الاستشاري الصادر في 2004/7/9 في قضية جدار الفصل العنصري. ولو سلمنا جدلاً بصحة ما يقوله راعي الباب العالي، فان حق الدفاع عن النفس مشروط بقيام الدولة المعتدية باعمال من شانها تهديد الاستقلال السياسي للدولة المعتدى عليها او تهديد وحدة اراضيها. فهل ما قام به فدائيو غزة وجنوب لبنان يهدد اسرائيل استقلالاً وارضاً؟ كما ان للدولة المعتدى عليها ـ وافترض لعيون الباب العالي، انها اسرائيل ـ ان تمارس حق الدفاع عن النفس بشرط التقيّد بالنسبية في الرد وان يكون الرد قد اصبح ضرورياً ضرورة ملحة. فهل تدمير خزانات الوقود والمياه والجسور والطرق كان ضرورياً لممارسة حق الدفاع عن النفس، وهل كان متناسباً مع اسر جنديين في جنوب لبنان او اسر جندي في غزه؟ في كانون الثاني (يناير) 1968 كانت سفينة التجسس الامريكية، بويبلو، تبحر بالقرب من كوريا الشمالية واخترقت المياه الاقليمية الكورية. وقامت البحرية الكورية باعتقال السفينة واسرت (82) من بحارتها بما فيهم قبطان السفينة، وبعد مفاوضات واعتذارات من الحكومة الامريكية تمّ الافراج عن طاقم السفينة في 1968/12/23، اي بعد مرور احد عشر شهراً تقريباً على اعتقالهم. وكان بامكان الولايات المتحدة ان تقوم بقصف كوريا الشمالية وتدميرها سيما وان الرئيس الامريكي آنذاك هو ليندون جونسون، المعروف بغطرسته وجبروته، كما ان ظروف حرب فيتنام في حينه كانت ـ وقبل ان تنمو الحركة العالمية ضد تلك الحرب ـ تعطيه غطاء كافياً لضرب كوريا. ومع ذلك، لم تفعل امريكا سوى اللجوء للمفاوضات. فهل اعتقال جنديين اثنين او ثلاثة يبرر لاسرائيل هذا الدمار المنظم والمبرمج والذي يستهدف المدنيين والمنشآت المدنية؟ وهل هذا التدمير يغطي على اعين الولاة العرب ليقولوا ان حزب الله والفدائيين الفلسطينيين لم يستشيروا احداً بما فعلوا؟

واذا كان عدم التشاور هو الخطيئة التي ارتكبها حزب الله والمقاومون الفلسطينيون، فهل يمكن ان يقول لنا الولاة العرب ان كانت تمت استشارتهم في وضع خريطة الطريق؟ وهل جرى اي اجتماع معهم قبل ان توضع خريطة الطريق على مسار الحل السياسي؟ وان جرى مثل هذا الاجتماع والتشاور، هل وافق الولاة العرب على كل ما ورد فيها؟ وان كان الجواب بالايجاب، فهل تتفق خريطة الطريق مع اعلان قمة بيروت الذي صاغته المملكة العربية السعودية بالتعاون مع الصحافي الامريكي توماس فريدمان؟

وآخر الولاة قال ـ لا فضّ فوه ـ ان على الدولة اللبنانية بسط سيادتها على كامل اراضيها. ولا خلاف على حق الدولة ـ اي دولة ـ في بسط سيادتها على النحو الامثل. ولكن يظل التساؤل قائما حول لماذا لا يتذكرون «السيادة» و«بسطها على كامل التراب الوطني» الاّ حين تقوم المقاومة الوطنية بممارسة اعمال المقاومة!

ايها الولاة، اتقوا الله في شعوبكم كرامة واحتراماً. اننا ندرك عجزكم الذي اصبح ادنى من عجز جمهوريات الموز في اوج سيطرة الباب العالي، وندرك الخزي الذي تلحقونه بنا كمواطنين كلما تجولّنا في مدن العالم ويتساءلون لماذا لا يقوم الولاة العرب بفعل شيء لكبح هذه العربدة الاسرائيلية. وقد ادركنا ان لا فائدة ترجى من استثارة النخوة والحميّة بعد ان دخلتم جناح الحريم في قصر الباب العالي. ولذلك اتركوا هؤلاء المشاغبين من افراد المقاومة اللبنانية والفلسطينية يضعون هذه القوة المتغطرسة في ارباك وحيرة، ولو لمرة واحدة. لقد ثبت ـ في الظروف الحالية ـ ان بصطار (حذاء) مقاوم واحد اثمن من كل النفط العربي، وانا لله وانا اليه راجعون.

* رئيس مجلس ادارة صندوق العون القانوني

فظاعات الجيش الامريكي بالعراق المحتل

يحيى اليحياوي*

■ لم اكن استبعد (بالمطلق او بالتحليل النسبي حتى) ان يعمد الجيش الامريكي (بمعية ما استقدمه معه من عساكر حليفة) الى ارتكاب فظاعات بالعراق المحتل، وينكل منذ اليوم الاول بتراثه وحضارته وعلمائه، ويؤجج من بين ظهرانيه النعرات الاثنية والطائفية والدينية ويعتدي على كرامة اهله بالاهانة والاغتيال والسجن وليترك (بسيناريو المحصلة النهائية) عراقا شبه مقسم عمليا، مقطع الاوصال تقريبا، يكاد يشارف على التحول الى دويلات لن يطول الامد حتى تلتحق بدويلات الخليج الجهرية فضاء جغرافيا وساكنة وتبعية للاجنبي.

والحقيقة انه لو سلم المرء تجاوزا بان الجيش اياه كان محملا بمهمة صارمة ومحددة مؤداها قلب النظام الشرعي لينعم الجنود، فيما بعد او بموازاته، بورود العراقيات تتناثر عليهم حيثما حلوا وارتحلوا بالعراق، فانه لن يستطيع التسليم بان اندلاع المقاومة العراقية اياما معدودات فقط على سقوط عاصمة الرشيد، قد جعل ذات الجيش «يفقد اعصابه» ويخرج عن منطوق «الرسالة الحضارية في تحرير العراق» التي حملها اياه القائد الاعلى للقوات المسلحة الامريكية... ويلجأ الى الاساليب التي قطع عليها وتربى في كنفها واستنفرت لديه الخاصية العدوانية التي طبعت تكوينه وتدريبه وما تلقاه باعلام يختزل الكون برمته في الامة الامريكية، ويختزل العلاقات بين البشر في جانب العنف الذي يحتكم على فائض كبير منه.

واذا كان من المتعذر لدرجة الاستحالة الاطلاع بالتدقيق على ما قام به الجيش الامريكي (ولا يزال يقوم به لحد الساعة من فظاعات)، فان ما «تتكرم» به وسائل الاعلام (بعلم من البنتاغون او بتواطؤ مضمر معه او في غفلة منه في القليل النادر) انما يجعلنا بازاء جرائم كبرى ضد الانسانية وجرائم ضد الجنس البشري، ناهيك عن جرائم الحرب التي قيل ان عملياتها الكبرى قد انتهت بسقوط بغداد وتنصيب العملاء الذين زينوا للادارة الامريكية السياسة والخط:

ـ فالمئات من المنازل دمرت على رؤوس اصحابها (بالطائرات والمدافع) بدعوى ايوائها لعناصر «ارهابية» او على خلفية كونها تتستر على مناهضين للاحتلال... ليتم الاعتراف فيما بعد بان المنطقة قصفت خطأ او ان «الارهابيين» غادروا المكان او ان المعلومات الاستخباراتية لم تكن دقيقة بالدرجة المطلوبة... او القول في الغالب الأعم، بان المنطقة قد «طهرت» تماما منهم... كما طهرت الفلوجة من على سطح الارض.

ـ والمئات من البيوت الآمنة تم دهمها بانصاف الليالي ليهان في اعقاب ذلك رب الاسرة امام عائلته ويقيد وينكل به امام زوجته وابنائه او يقاد معصوب العينين، مقيد اليدين الى السجن او الى جهات مجهولة ليعود بعد مدة لأهله وذويه جسدا وروحا (مكسر الجناح، مدمر النفسية) او يعود لهم جسدا دون روح او يقيد، فيما بين هذه او تلك، بسجلات المشرحة تحت رقم «يمنحه» صفة مجهول الهوية الواسعة الانتشار وليدفن بمقابر جماعية صممت لذات الغرض بكل محافظات العراق.

ـ والمئات من السجناء بمعتقلات الاحتلال كما بسجون الداخلية (والتي لا يعبر ابو غريب الا عن مظهرها الموسط اعلاميا) اهينوا في رجولتهم قبل كرامتهم ودفع بهم، تحت الاكراه النفسي والجسدي، للخروج عن آدميتهم وركوب سلوك تتقزز منه الطبيعة البشرية وتستهجنه الاخلاق والاديان ونواميس الخلق (من قبيل جعل معتقل يعذب معتقلا او يستبيح رجولته او تكويم المعتقلين او تشبيك اجسادهم بخيوط الكهرباء او ما سوى ذلك).

ـ والمئات من النساء انتهكت اعراضهن امام ازواجهن وبمرأى من اولادهن في بعض الاحيان او بالسجون حيث خرجت العديدات منهن (من ابو غريب ومن غيره) وهن حاملات لأجنة في احشائهن او مبتوري البكارة او بعقد نفسية يستعصي على عالم النفس فكها اذا لم يفكها سبيل الانتحار او قتلهن من لدن العائلة لغسل العار (تدل الاحصاءات انه منذ احتلال العراق يختطف اسبوعيا ما بين 10 الى 15 امرأة في حين كانت النساء تتجول في عهد الرئيس صدام حسين حتى الفجر دون خوف).

ـ والمئات منهن تتم معاكستهن بالشارع العام (لو بقي ثمة بالعراق شارع عام) حتى اذا لم تستسلمن وتظلمن من ذلك لدى اهلهن تمت مباغتتهن بانصاف الليالي ليغتصبن ويقتلن رفقة اهلهن (كما كان الحال مع عبير قاسم) وتكاد النار تضرم في اجسادهن بعدما تغتصب الاجساد ثانية والروح اضحت بين يدي باريها.

ليس ثمة ما يدعو للشفاعة حقا على ما قام به الجيش الامريكي بالعراق (وميليشيا الطوائف الليلية واساليب الاهانة ووسائل الترهيب (بالكلاب وباسلاك الكهرباء وبغيرها) متماثلة بين السجون والمعتقلات لدرجة لا يستطيع المرء الا القطع بانها ملقنة ومعتمدة ومرخص بها من لدن القادة الكبار... والا فكيف يتجرأ جندي ما (بكتيبة او بفرقة او بما سواهما) على عصيان اجراءات مؤسسة كالمؤسسة العسكرية خاصيتها الاساس (بل سر استمراريتها) الانضباط وطاعة الاوامر حتى وان كانت مجانبة للقناعات الشخصية؟

ـ والفظاعات اياها حزء من ثقافة عامة جوهرها العنف والترهيب واستبعاد كل سبل الرحمة في ميدان ينطلق فيه الجندي من مسلمة انه «يا قاتل يا مقتول».

قد لا يهم اعتراف رامسفيلد بانه رخص باستعمال الكلاب من باب التخويف بغرض الحصول على معلومات، لكنه من المهم بهذه النقطة ملاحظة ان سلوك الجيش الامريكي بالعراق هو ذاته بافغانستان كما بغوانتنامو كما بالصومال من ذي قبل كما بفيتنام من حوالي اربعة عقود.

تماثل الاسلوب وتشابه الاداة يؤكدان حتما ان الامر خلفه دونما شك استراتيجية (بل قل ايديولوجيا ثابتة) اعتمدت على مستوى عال ولا يقوم الجنود الا على تصريفها بالوقائع على الارض بالعراق كما بغيره من مستعمرات امريكا الجديدة.

ـ وحتى لو سلم المرء بان الفظاعات اياها انما هي نتاج اعمال فردية، لا تؤسس للقاعدة العامة (قاعدة الانضباط العسكري) ولا «لاخلاق الجندي الامريكي»، فان تاريخ الاستعمار (وتاريخ هذا الجندي تحديدا) يبين ان ذات الفظاعات كانت ترتكب وفق منظور اذا لم يكن حربيا مباشرا، فلغاية الضغط النفسي الممارس على الخصم حتى تتهاوى نفسيته ويقترب من وضع الحيوان.

الم يدمرالجنود الامريكان العديد من القرى بفيتنام انتقاما لمقتل زميل لهم او جراء تدمير عربتهم او تستر هذه القرية او تلك على مقاومين؟ الم يكن الرئيس اندرو جاكسون من عشاق التنكيل والتمثيل بالجثث لدرجة انه كان يأمر (لمتعته الخاصة) بحساب عدد قتلاه من الهنود باحصاء انوفهم المجدوعة وآذانهم المصلومة... وابى الا ان يحضر التمثيل بجثث 800 من الهنود الحمر من الرجال والاطفال والنساء في طقوس احتفالية تماما كما احتفل ستيفن غرين باغتصاب عبير قاسم (بالمحمودية في آذار ـ مارس الماضي) حية ثم ميتة وكان على اهبة اضرام النار في جسدها لاخفاء فظاعته وفظاعة المؤسسة العسكرية التي ينتمي اليها وفظاعة قائده الاعلى وفظاعة هذا الزمن الامريكي الشاذ.

عن اي تحقيق يحدثونا بعد كل ذلك؟ اليس زملاء ستيفن غرين واشباهه هم من يقومون به ويشرفون عليه؟ كيف القصاص من هؤلاء وهم في نظر قادتهم (وعملائهم «بالعراق الجديد») «محررين» وفي «مهمة حضارية» كل شيء يهون بوجه تحقيقها؟

لو اجاز المرء ذلك بالمنطوق الامريكي الصرف، فكيف يجيزه على لسان «مثقفي العراق الجديد»؟

لقد بلغنا حقا ما تنبأ به غسان كنفاني حينما قال: انه سيأتي زمن تغدو الخيانة بموجبه وفي اجوائه رأيا...

* باحث واكاديمي من المغرب
elyahyaoui@elyahyaoui.org

موت النظام الرسمي العربي

علي بدوان*

■ لم تستطع اللغة الملتبسة ومفرداتها ان تمر في البيان الختامي لوزراء الخارجية العرب، ولم يستطع احد ان يمرر في البيان الختامي عبارات الاتهامات وتحميل المسؤولية لحزب الله وقوى المقاومة تجاه العدوان الاسرائيلي الجاري على لبنان وقطاع غزة. فالدماء ساخنة على الارض، والفاشية الاسرائيلية الصهيونية تكشر عن انيابها في حرب مفتوحة تطال المدنيين بالدرجة الاولى، في لبنان وفي قطاع غزة وعموم الضفة الغربية. فهل استشارت اسرائيل وحكومة اولمرت احداً في عدوانها ضد الفلسطينيين الذين تركهم النظام الرسمي العربي لحماً مكشوفاً امام الذئب الصهيوني دون ان يحرك ساكناً على امتداد المرحلة المتواصلة منذ انتخابات 2006/1/25 التي جرت في فلسطين؟

ان من المؤسف ان تشهد اجتماعات وزراء الخارجية العرب هذا التنافر من السجالات الجوفاء التي تسهم في تمزيق الصف العربي، وتبرىء سلطات الاحتلال من جرائمها المسلطة على رقاب الشعبين الفلسطيني واللبناني، وتزيد من سياسة الصلف والغرور عند العدو الاسرائيلي. وفي هذا السياق فان دور الامين العام للجامعة العربية السيد عمرو موسى كان له الاثر العميق في توجيه دفة النقاشات وفي الوصول الى الحد الادنى المطلوب من الصياغة التوافقية للبيان الختامي. ولعبت تصريحات الامين العام اثراً طيباً لدى الراي العام العربي، خصوصاً في تنديده بالمواقف الامريكية المنحازة، واستخدامها الفيتو المستمر، وتفريغها لمجلس الامن من دوره الرئيسي وتحويله الى تابع لا اكثر ولا اقل.

ان البيان الختامي لوزراء الخارجية العرب، وبالرغم من طغيان اللغة الكلامية الانشائية في مضمونه، ما كان ليصدر معدلاً بالشكل الذي تم لولا ارادة الناس في الشارع العربي، وتراكم الاحتقان جراء القصور الرسمي في دعم واسناد صمود الشعبين الفلسطيني واللبناني. فهرب الرسميون العرب، وانقلب البعض منهم في مواقفه بين ليلة وضحاها خوفاً وهلعاً من لعنة ابدية قد تلحق به، بينما تنزف الدماء الساخنة في مروحين وعيترون والضاحية الجنوبية ورفح وشمال قطاع غزة.

ان بيان وزراء الخارجية العرب في اجتماعات القاهرة، وبغض النظر عن التعديلات الهامة التي ادخلت على نصه، يبقى بياناً باهتاً، وحبراً على ورق، ولم يرتق لمستوى الحدث، وتداعيات الوضع المتأزم في المنطقة. فقد تفوقت المواقف الاوروبية على بيان وزراء الخارجية العرب وعلى العديد من المواقف العربية، بما في ذلك مواقف بعض دول غرب اوربا، التي اعلنت تضامنها الكامل مع لبنان ومع الفلسطينيين، وحذرت على لسان الرئيس الفرنسي جاك شيراك من «محاولات تدمير لبنان».

وبذا، فان الموت السريري للنظام الرسمي العربي بدأ يعطي مفاعيله على ارض الواقع في ظل العجز التام للنظام نفسه في التوافق على آليات عمل تضمن ردع العدوان والعربدة الاسرائيلية، ووضع حد لدولة الاحتلال الصهيوني التي لم تستشر احداً في الكون خلال اعتداءاتها المتواصلة على امتداد الفترة الماضية وحتى اللحظة.

* كاتب فلسطيني ـ دمشق

هل ستجد الحكومة الالمانية مخرجا لادماج المهاجرين؟

محمد نبيل*

■ بدات اليوم الجمعة اول قمة اندماج ببرلين دعت اليها المستشارة الالمانية وتضم ممثلي الاديان وبعض الجاليات المهاجرة الى جانب وزراء ومسؤولي المقاطعات الالمانية. ويعد هذا اللقاء فرصة للتباحث حول اشكاليات المهاجرين ومحاولة وضع خطة لادماجهم من المتوقع ان تصدر نهاية العام الحالي. وستعالج قمة الاندماج ايضا قضية حقوق المراة المهاجرة والتي اسالت مداد الكثيرين واثارت العديد من النقاشات السياسية الكبيرة مؤخرا، الا ان المهمة لن تكون سهلة امام الحكومة الالمانية التي تواجه عدة انتقادات من طرف الجاليات المهاجرة وعلى راسها المجلس الاسلامي والمجلس المركزي للمسلمين والعديد من اطراف احزاب المعارضة السياسية ممثلة في حزب الخضر واليسار الالماني.

وتتمثل عوائق انجاح هذه المبادرة الحكومية الرامية الى انقاد الوضع المتازم للمهاجرين داخل المجتمع الالماني في مشاكل عديدة يسطر بعضها الكاتب العام للحزب الاجتماعي الديمقراطي هوبرتوس هايل الذي يعتبر الجاليات المهاجرة لا تتوفر على حظوظ كافية من اجل التربية والتعليم وتعاني من ضعف الكفاءة اللغوية حيث نجد 1،18 في المئة من اطفال المهاجرين لا يكملون دراساتهم بالمدارس الالمانية، و41 في المئة منهم لا يتجاوزون الدراسة في السلك الاول من التعليم الثانوي اما التكوين المدرسي فلا يصل اليه الا 25 في المئة من ابناء المهاجرين بالمقابل نجد الالمان يصلون الى 61 في المئة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، تشير بعض الدراسات الى ان المعلمين وحدهم من يتكلم الالمانية بعدة مدارس كمدرسة ابرهارت ـ كلاين الثانوية بضاحية كرويتسبيرغ المليئة بابناء المهاجرين، وهو الامر الذي يدفع باولياء امور التلاميذ الالمان لعدم تسجيل ابنائهم في المدارس المذكورة. وينصح بذلك ايضاً كلاوس بوغر مسؤول ملف المدارس في حكومة برلين.

وتقول بعض المصادر، ان سياسة الهجرة والاندماج دخلت في متاهات عديدة لان الحكومة الالمانية لم تعط الاهمية اللازمة للمهاجر الغريب الذي استعانت به منذ عقود طويلة من اجل بناء اقتصاد المانيا بعد الحرب العالمية الثانية. ومن عاش في المانيا في مرحلة الستينات يعرف جيدا كيف نقلت الحكومة الالمانية دوائر بكاملها الى الريف التركي كي يشرف الموظفون على اختيار من سيعمل في اعادة بناء المانيا. وفي هذا السياق، سبق وان صرحت وزيرة التربية والتعليم الالمانية انيته شافان بكون المدارس الالمانية لم تول اهتماما الى مشكلة الاندماج الا في وقت متأخر. هذا، وقد اعلنت عن وضع استراتيجية مشتركة من اجل العمل على ايجاد حلول في هذا الخصوص.

وقد دفع هذا الوضع المزري بالحكومة الالمانية الى اقرار تدريس اللغة الالمانية برياض الاطفال كوسيلة لادماج ابناء المهاجرين وتشجيعهم على تعلم هذه اللغة. الا ان المسألة تظل مرتبطة بعدة عوامل اخرى يلخصها وزير الداخلية الالماني فولف غانغ شويبله في دور الآباء، المقاطعات والمستشارة الالمانية انغيلا ميركل الذين يجب عليهم جميعا اخذ المبادرة ووضع مقترحات للخروج من الازمة.

هذا، وتواجه مبادرة المستشارة الالمانية انتقادات من طرف احزاب المعارضة السياسية وعلى راسها حزب الخضر واليسار الالماني الى جانب العديد من الجاليات المسلمة التي تعتبر نفسها مستهدفة من خلال الصورة السلبية التي ير